



تقديم الخبر على المبتدأ في شعر الحسن بن علي الهبل (دراسة نحوية دلالية)

قايد صالح التام، محمد حسين النقيب*

كلية التربية والعلوم والآداب، جامعة عمران، اليمن

الملخص

تناول البحث تقديم الخبر على المبتدأ بالدراسة والتحليل في شعر الهبل، وهدف إلى تتبع أنماطه ورصد أشكاله وتلمس دلالاته وإحياءاته، ومدى مناسبتها وانسجامها مع المقامات والسياقات الواردة فيها. وقد وظف البحث لتحقيق أهدافه منهجاً وصفيًا تحليليًا؛ لتنميط المواضيع، واستجلاء الدلالات، فجاء البحث في مبحثين: المبحث الأول: تقديم الخبر على المبتدأ وجوبا. المبحث الثاني: تقديم الخبر على المبتدأ جوازا. تسبقهم مقدمة، تطرقت إلى أهمية أسلوب التقديم في المنظومة النحوية العربية، وبيان طبيعته التركيبية، وتضمنت التعريف بالشاعر وديوانه. وتوصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها: أن الشاعر استطاع أن يوظف ظاهرة (التقديم والتأخير) في قصائده، بما يخدم مراده في تحقيق الدلالات والإحياءات المرادة، فلم يكن توظيفه للظاهرة عشوائيا، كما أثبت البحث أنه لا يمكن حصر تلك الدلالات؛ إذ تتعدد وتتجدد بتعدد السياقات واختلاف المقامات، وأظهر البحث أن للنظر والتأمل في السياق أثرا مهماً ودورا كبيرا في الكشف عن دلالات التقديم والتأخير.

الكلمات المفتاحية: تقديم الخبر - الوجوب - الجواز. الدلالة.

Abstract: The study analyzes the phenomenon of placing the predicate before the subject in the poetry of AL-Habal. It aims to trace its patterns, identify its forms, measure its semantic implications and benefits, and assess its appropriateness and harmony with the contexts in which it appears. To achieve these goals, the study employs a descriptive-analytical approach to examine the instances and uncover the meanings. The research is divided into two main sections; Section One: Mandatory predicate- fronting. Section Two: permissible predicate- fronting. The introduction addresses the importance Of this stylistic feature within the Arabic syntactic system explains its structural nature, and includes a brief overview of the poet and his collection. The study concludes with several findings, most notably: the poet skillfully employed the phenomenon of fronting and delaying elements in his verses to serve intended meanings and create balance. His use was not arbitrary. The research also demonstrates this the semantic implications of this phenomenon are too varied to be exhaustively listed, as they shift and renew depending on context and rhetorical situation. It highlights the crucial role of contextual analysis in uncovering the meanings behind such syntactic choices.

المقدمة:

تعتمد الجملة الاسمية غير المنسوخة في بنائها على ركنين أساسيين، هما المبتدأ والخبر، فالمبتدأ هو المُسْنَدُ إليه أو المُخْبَرُ عنه أو المحكوم له، المجرّد من العوامل اللفظيّة. (العكبري، 1، 124/1995)، وعرفه ابن جني بقوله: "المبتدأ كلّ اسم ابتدأته، وعريته من العوامل اللفظيّة، وعرضته لها، وجعلته أولاً

*Email: Malnagib2012@gmail.com

لثانٍ، ومسندًا إليه، وهو مرفوعٌ بالابتداء" 0 (ابن جني، 1988، 72)، وموقعه أولُ الجملة الاسمية وآخرها لفظًا ومتقدمًا رتبةً، وحكمه الرفع.

أما الخبر فهو المسند أو المخبر به أو المحكوم به، الذي تتمُّ به الفائدة مع المبتدأ، (الأنصاري، 1995، 137)، يقول ابن يعيش: "اعلم أن خبر المبتدأ هو الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع، ويصير مع المبتدأ كلامًا تامًا، والذي يدل على ذلك أن به يقع التصديق والتكذيب..." (ابن يعيش، د.ت، 87/1)، وأيا كان نوع الخبر فإن المبتدأ يحتم على الجملة خبرًا، "فهما [أي المبتدأ والخبر] مما لا يغني أحدهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا" (سيبويه، 1988، 1:23).

وقد ذكر النحاة أن الأصل في بنية الجملة الاسمية هو تقديم المبتدأ وتأخير الخبر (ابن مالك، 1990، 1:296)، وهذا أصل من أصول النحو العربي، وهذا هو الترتيب الطبيعي لركني الجملة الاسمية، ولكن الموقف اللغوي والسياق قد يفرض تقديم الخبر على المبتدأ.

وتثبت نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، والكلام العربي، وشواهد اللغة مخالفة الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسمية، فكتب النحاة مليئة بالشواهد المخالفة لهذا الأصل، ورغم هذه الكثرة في الاستعمال وإشارة النحاة إلى جواز حرية الحركة بين ركني الجملة الاسمية عند أمن اللبس، أو خضوع التركيب لمقيدات تلزم وجوب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، ورغم ما توصل إليه أحد الباحثين من أن التقديم مساوي للتأخير من الناحية التاريخية (عامر، 2000، 548) فإنه لم يُعد تقديم الخبر وتأخير المبتدأ أصلاً ثانياً في شكل الجملة الاسمية، أو قسماً قائماً بذاته في مقابل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، وإنما عُدَّ مخالفةً للأصل وعدولاً عنه، يؤكد هذا الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد بقوله: "وأيضاً فقد تقدم المفعول على الفاعل كثيراً في سعة الكلام...، حتى ليظن أن رتبته قد صارت التقدم، بخلاف الخبر فإنه - وإن تقدم على المبتدأ أحياناً - لا يتصور أحد أن رتبته التقدم؛ لكونه حكماً، والحكم في مرتبة التأخر عن المحكوم عليه البتة" (ابن عقيل، 1980، 1:242).

وتعد مسألة تقديم الخبر على المبتدأ من وجهة نظر نحوية من مسائل الخلاف النحوي (الأنباري، 2002، 63/1)؛ فالكوفيون يرون عدم جواز تقديم الخبر على المبتدأ، مفرداً كان أو جملة؛ لأن في تقديمه تقديمًا لضمير الاسم على ظاهره، (الأندلسي، 1998، 3:1106)، أما البصريون فيرون جواز تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، وحجتهم ورود ذلك كثيراً عن العرب شعراً ونثراً، (ابن عقيل، 1980، 229/1).

وحين أجاز النحاة هذا التقديم والتأخير أكدوا في الوقت نفسه أنه إذا ما حصل فإنه يُراد به غرض أو قصد معين يعمد إليه المتكلم، ولعل سيبويه هو أول من طرق باب هذه المسألة، حين قال في باب (الفاعل الذي يتعداه فعله إلى المفعول): "فإذا قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيدًا عبدُ الله...، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهمَّانهم ويَعْنِيانهم" (سيبويه، 1988، 34/1).

ولم يكن هذا الموضوع من البلاغيين ببعيد؛ بل هو عندهم "باب كثير الفوائد، جُمَّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يُقتر لك عن بديعة، ويُفْضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعْرًا يروقك مَسْمَعُهُ، ويلطّف لديك موقعُهُ، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك أن قُدِّم فيه شيء، وحُول اللفظ عن مكان إلى مكان" (الجرجاني، 1995، 106)

ولعل من أهم الذين انتفعوا بمبدأ الاهتمام والعناية الذي أقره سيبويه هو الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد ذكر ذلك في دلائله، ودعا إلى تسويغ تقدم اللفظ أو تأخره بالبحث عن مصدر الاهتمام والعناية، يقول: "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: (إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم)، من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبِمَ كان أهم؟" (الجرجاني، 1995، 108).

إن مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام، وأن التعبير الواحد قد تختلف أغراضه من مقام إلى مقام، فدلالات التقديم والتأخير تتغير بتغير السياق، كما أن التقديم والتأخير "يخضع للمعنى وللهدف الذي يسعى إليه المتكلم، كما أن القول بتقديم أحد العناصر في الجملة المنطوقة أو تأخيره، يعتمد على فكرة البنية الأساسية للجملة. فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم من تأخير، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين أو رتبة محددة.

وعليه فإن تقديم الخبر وتأخير المبتدأ يعد عدولا عن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسمية غير المنسوخة؛ ولذا لا بد له من مقتضى يقتضيه سياق الكلام، تتحقق به أغراض ودلالات بلاغية قصد إليها المتكلم لا تتحقق بدون هذا التقديم.

ولا شك أن تقديم الخبر على المبتدأ في النص الشعري يعد منبع ثراء غنيا بالدلالات، متضمنا معاني خفية، ترتبط بالجوانب النفسية والشعورية والوجدانية؛ وإيحاءات بمشاعر وانفعالات متعددة ومتنوعة بتنوع السياقات التي ورد فيها التقديم؛ لأنه هو الميدان الأوسع الذي تتسابق فيه المعاني، وتبني فيه الصور والأخيلة، ويتمدد الخيال، وتتدفق اللغة بشتى صور تراكيبها، بغية الوصول إلى ترجمة اعتلالات الشعراء وانفعالاتهم في معاني وتراكيب تلائم طبيعة الشعر وخصوصيته

ولهذه الأهمية اختار البحث النص الشعري ميدانا لدراسته، ووقع اختياره على نص شعري لأمير شعراء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري، الحسن بن علي الهبل، وهو شاعر يمني ولد من أسرة علمية لها تاريخ مع العلم والأدب والقضاء بصنعاء سنة: 1048هـ / 1639م وفيها نشأ وبها توفي سنة: 1079هـ / 1668م ولم يكمل عامه الواحد والثلاثين (الشوكاني، 2011، 199/1).

له ديوان شعري جمعه أحمد بن ناصر المخلافي وأسماه (قلائد الجواهر)، ورأى النور بتحقيق أحمد بن محمد الشامي، ويعد الهبل من الشعراء المجيدين، قال عنه (الشوكاني، 2011، 199/1): "الشاعر المفلق الفائق المكثر المجيد" ووصف شعره بأنه "يكاد يسيل رقة ولطافة وجودة سبك وحسن معاني وغالبه الجودة" (199/1)، واعتبره محقق الديوان أروع شعراء القرن الحادي عشر الهجري ولو طال به العمر لكان له

شأن عظيم، وعد قصائده "بلاغة وفصاحة وأسلوباً وسبكاً وتصويراً وتعبيراً كلها عُرر" (الديوان، 1987، 11).

أهمية البحث:

وتكمن أهمية البحث إضافة إلى ما سبق في أنه:

1/ تتبع ما ورد من تقديم للخبر على المبتدأ في شعر الهبل؛ فلم تكن هذه الظاهرة غائبة عن شعره، بل تُعد إحدى سمات شعره، وتبدو فيه بصورة توجب تتبعها بالدراسة والتحليل لأنماطها وخصائصها ودلالاتها والكشف عن أسرارها وسبر أغوارها.

2/ سعى إلى الربط بين علم النحو والدلالة، وحاول إثبات التمازج الشديد بين النحو والدلالة؛ ذلك أن الدرس الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي، فالنحو عقل والدلالة شعور.

3/ سعى إلى بيان دلالات تقديم الخبر على المبتدأ، والكشف عن الدلالات والمشاعر والإحياءات المستوحاة من هذا التقديم، ومدى مناسبتها للسياقات الوارد فيها.

4/ وتكمن أهمية البحث أيضاً في كونه قدم شاعراً يمينياً كبيراً، وسلط الضوء عليه، فالهبل احتل مكانة بارزة في صفوف الشعراء الفحول في القرن الحادي عشر الهجري، حتى أنه عُد أمير الشعراء في اليمن، وبهذا فإن هذا البحث قدم للمجتمع شاعراً يمينياً، وهذا يعد خدمة لتراثنا اليمني. فضلاً عن كونه يشكل إضافة جديدة إلى مكتبة الدراسات النحوية والدلالية، وأنه سيسهم في إثراء حقل الدرس النحوي والدلالي وخصوصاً في الشعر اليمني.

أسئلة البحث:

سعي البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1 / ما دلالات تقديم الخبر على المبتدأ في شعر الهبل؟
2/ ما مدى إسهام تقديم الخبر على المبتدأ في الكشف عن الدلالات والمشاعر والإحياءات في شعر الهبل؟

3/ ما مدى مناسبة تقديم الخبر على المبتدأ وتلاؤمه مع السياق الوارد فيه؟

4/ ما أثر تقديم الخبر على المبتدأ في إبراز المعنى وإثرائه في شعر الهبل؟

أهداف البحث:

سعى البحث إلى تحقيق عدة أهداف، أهمها:

1/ بيان دلالات تقديم الخبر على المبتدأ في شعر الهبل.

2/ بيان إسهام تقديم الخبر على المبتدأ في الكشف عن الدلالات والمشاعر والإيحاءات في شعر الهبل.

3/ الكشف عن مدى تناسب تقديم الخبر على المبتدأ وتلاؤمه مع السياق الوارد فيه.

4/ بيان أثر تقديم الخبر على المبتدأ في إبراز المعنى وإثرائه في شعر الهبل.

منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث وغاياته والإجابة عن تساؤلاته اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لوصف مواضع تقديم الخبر على المبتدأ في ديوان الهبل، وتحليلها للتوصل إلى دلالات هذا التقديم وتلمس إيحاءاته وبيان مدى تناسبه وتلاؤمه مع السياق الوارد فيه. ويشير الباحث إلى أن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ وحالاته ستتطلب من نص الدراسة؛ بمعنى أن ما وجد في شعر الهبل من تقديم للمبتدأ على الخبر هو الذي يحدد ضرورة تناولها نحو ودلالة.

هيكلية البحث:

استقرت هيكلية البحث على مبحثين، يسبقهما مقدمة، ويتلوها خاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: تقديم الخبر وتأخير المبتدأ وجوبا.

المبحث الثاني: تقديم الخبر وتأخير المبتدأ جوازا.

المبحث الأول

تقديم الخبر وتأخير المبتدأ وجوبا

ذكر النحاة (ابن الحاجب، د.ت) أربعة مواضع يتقدم فيها الخبر على المبتدأ وجوبا، ورد منها عند شاعرنا ثلاثة مواضع، يمكن تناولها في الأنماط الآتية:

النمط الأول: تقديم الخبر (مستحق الصدارة) وتأخير المبتدأ.

قرر النحاة وجوب تقديم الخبر إذا كان اسم استفهام، نحو قوله تعالى: {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} [البقرة: 214]، وقوله: {أَيُّنَ الْمَقَرِّ} [القيامة: 10]، ونحو: أين زيد، وكيف عبدالله، وما أشبه ذلك. فمعنى أين: في أي مكان، وكيف: على أية حالة. وهذا لا يكون إلا مبدوءا به قبل الاسم؛ لأنها من حروف الاستفهام، فشبهت بهل وألف الاستفهام. (سيبويه، 1988، 128/2)

وقد وردت الجملة الاسمية غير المنسوخة في ديوان شاعرنا بتقديم الخبر (مستحق الصدارة) وتأخير المبتدأ في مواضع متعددة، من ذلك تقديمه لاسم الاستفهام (أين) الواقع خبرا في أبياته الآتية: (الديوان، 1987، 190/197/198)

كم ذا يزوب أسي؟ وكم يتجلد؟ أين المعين له؟ وأين المسعد؟

أين المفر لهم وسيفك خلفهم في كل أرض أغوروا أو أنجدوا

أين منك السماء سموا وجودا أنت أسمى قدرا وأسمح كفا
أين النوال الذي ما زال دأبكم به ملكتم رقاب العجم والعرب

ف(أين) في الأبيات الشعرية السابقة اسم استفهام دال على الظرفية المكانية، يستفهم به عن المكان (الزجاجي، 1984، 34)، ف "لا يكون أين إلا للأماكن" (سيبويه، 1988، 1:219)، وهي بمعنى: أي مكان، وقد وقع خبرا في الجمل الاسمية غير المنسوخة، فتقدم وجوبا؛ لإفادته معنى الاستفهام فاستحق الصدارة، ودل على التنبيه، وليصرف السامع فهمه إليه، والاستفهام طلب يدل على الاهتمام والعناية بالمطلوب، وغرضه في البيت الأول الاسترحام والاستعطاف، وفي البيت الثاني غرضه المدح والتعظيم والنفى، أي: لا مفر لكم، وفي البيت الثالث غرضه العتاب واللوم، وفي البيت الرابع غرضه العتاب والتعجب.

وكذلك يوجب النحاة (الأنصاري، 1996، 215/1) تقديم الخبر إذا دخل على اسم الاستفهام حرف جر، كقوله تعالى: {لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} [غافر: 16]، فشبّه الجملة خبر مقدم وجوبا؛ لأن (من) الاستفهامية لها الصدارة، والملك مبتدأ مؤخر، ومما ورد في أقوال الشاعر من هذا القبيل قوله: (الديوان، 1987، 306)

إلام الاغترار بمن إليه لعمرى كل كائنة تصير
إلام وفيم ويحك ذا التصابي وكم هذا التغابي في ضلالك
كم ذا الجفاء وإلى متى الهجر شب الهوى وتعذر الصبر

ففي هذه الأبيات تقدم الخبر (شبه الجملة) المشتمل على حرف جر ومجرور اسم استفهام، (إلام/ فيم/ إلى متى)، ويعد تقديم الخبر هنا واجبا؛ لاستحقاق اسم الاستفهام للصدارة، ذلك أن دخول حرف الجر على مستحق الصدارة لا ينافي استحقاق الاسم للصدارة، ويدل اسم الاستفهام على التنبيه، وليصرف السامع فهمه إليه، والاستفهام طلب يدل على الاهتمام والعناية بالمطلوب، وغرض الاستفهام في البيت الأول التعجب، وفي البيت الثاني غرضه التوبيخ والتقريع، وغرضه في البيت الثالث عتاب ولوم.

النمط الثاني: تقديم الخبر (شبه الجملة) وتأخير المبتدأ (النكرة المحضة).

يوجب النحاة تقديم الخبر وتأخير المبتدأ إذا كان المبتدأ نكرة محضة (غير مختصة)، والخبر شبه جملة؛ جار ومجرور أو ظرف، كقوله تعالى: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: 7]، وقوله: {لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: 35]، ف(غشاة) و(مزيد) مبتدأ مؤخر وجوبا، وشبه الجملة خبر مقدم وجوبا، وقد أجمع النحاة على ذلك، وممن نقل إجماعهم ابن عصفور (الاشبيلي، 1982، 343/1) وأبو حيان (الأندلسي، 1998، 1102/3) وابن عقيل (ابن عقيل، 1980، 240/1).

وقد بين النحاة أسباب هذا الوجوب فقالوا: إن شبه الجملة لو تأخرت فقد تكون وصفا للنكرة، فحاجة النكرة المحضة إلى الوصف أقوى من حاجتها إلى الإخبار عنها، "قلو قلت: سرج تحت رأسي أو درع على أبيه

أو قال: درهمٌ لي، لتوهم المخاطب أنه صفة، وينتظر الخبر فيقع عنده اللبس" (ابن يعيش، د.ت)، وبتقديم الخبر في هذه الحالة يزول ذلك التوهم واللبس، إذ بالتقديم يخرج عن صلاحية الوصف فيتعين كونه خبراً له (العكبري، 1995، 145/1)، وفي هذا التعليل مراعاة لحالة المتلقي وما يحدث عنده من توهم ولبس بسبب تأخير الخبر.

ورأى النحاة أن الابتداء بالنكرة لا دلالة فيه، "وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به" (ابن السراج، 1996، 1:59)، أما إذا تقدم الخبر (شبه الجملة) على النكرة ففيه تخصيص لها وتقليل لشيوعها، وفي هذا التعليل راعى النحاة دلالة الجملة، ففي نحو (رجل في الدار، رجل عندك) يختل الإسناد بين المبتدأ والخبر اختلالاً يذهب بدلالة الجملة نفسها.

وقد تقدم الخبر (شبه الجملة) وتأخر المبتدأ (النكرة المحضة) في مواضع كثيرة عند شاعرنا في ديوانه، يمكن تناول ذلك في الشكلين الآتيين:

الشكل الأول: تقديم الخبر (الجار والمجرور) وتأخير المبتدأ (النكرة المحضة).

من ذلك ما ورد متتابعاً في أربعة أبيات من قصيدة له بعنوان (قم بنا نطلب الحق)، إذ جاء فيها قوله: (الديوان، 1987، 231)

هذه (خولان) أضحت ولها	بك دون الناس وجد وغرام
تتمنى منك أدنى نظرة	فيها من حرة الشوق أوام
فمتى عيني تراها، ولها	بك بشر وابتهاج وابتسام
سير إليها واتخذها وطناً	معقلاً فيه امتناع واعتصام

ففي هذه الأبيات جاءت الجمل الاسمية:

- لها...وجد.
- بها... أوام.
- لها... بشر.
- فيه امتناع.

بتقديم الخبر شبه الجملة الجار والمجرور، المشتمل على ضمير الغائب المؤنث العائد على الاسم المتحدث عنه في السياق (خولان)، وتأخير المبتدأ النكرة المحضة، ويعد هذا التقديم للخبر واجباً؛ إذ لا مسوغ لمجيء المبتدأ نكرة إلا بتقديم الخبر شبه الجملة.

ومهما يكن من أمر الوجوب الذي تفرض فيه القاعدة النحوية وجوب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في مثل هذا التركيب، فإن المتأمل في سياق هذه الأبيات يجد أن تعبير الشاعر وإيراده هذه الجمل الاسمية بما

اشتملت عليه من تقديم للخبر وتأخير للمبتدأ مناسب ومتلائم مع السياق؛ لما فيه من دلالات وإيحاءات أسهم تقديم الخبر في تحقيقها؛ إذ يبدو للباحث أن في تقديم الخبر إيحاء ودلالة تعكس اهتمام الشاعر بالخبر؛ كونه محور الكلام ومحطة الاهتمام؛ فالشاعر معني هنا بالحديث عن خولان، إذ تصدرت الأبيات بجملة اسمية (هذه خولان)، فمحور الكلام هنا هو خولان، ولذا قدم ما هو معني بالحديث عنه في الخبر المشتمل على الضمير العائد على خولان (لها/ بها/ لها)، أي: لخولان وبخولان.

كما يظهر للباحث أن هذا التقديم أسهم في كشف مدى تعظيم الشاعر لخولان، ومدى منزلتها في نفسه، وأنها تشتاق لأدنى نظرة منه، فهي (خولان) ستبتهج وتبتسم لقدومه ولرؤيته، وقوة حرصه ورغبته في حث مخاطبه الممدوح إلى السير إليها والاستعانة بها، واتخاذها وطناً ومقلاً له، لأنها مشهورة بحصونها ورجالها الشجعان، وفيه تعظيم ومدح لخولان.

ومن المواضع والسياقات التي كثر فيها تقديم الشاعر للخبر الجار والمجرور وتأخيره للمبتدأ النكرة المحضة سياقات قصائده المدحية لأمرء البلاد، من ذلك قوله من قصيدة طويلة في مدح السيد سيف الإسلام أحمد بن الحسن: (الديوان، 1987، 164)

لك في العزائم عن سيوفك غنية فذر السيوف تفر في الأغمار

وفيه جاءت الجملة الاسمية (لك... غنية) بتقديم الخبر الجار والمجرور، المشتمل على ضمير مخاطبه الممدوح، وتأخير المبتدأ (غنية)، وفي هذا التقديم تنبيه للسامع على أن الجار والمجرور (لك) خبر، لا نعت، من أول سماعه وتلقيه للبيت الشعري، إذ لو تأخر الخبر فقل: غنية لك؛ لتوهم السامع النعت لا الخبر، ويعد هذا التقديم مناسباً في سياق المدح والثناء؛ لما يقدمه التقديم من دلالة على التخصيص المراد من تقديم الخبر المشتمل على حرف الجر (اللام)، الدالة على الملكية، والكاف للخطاب تمنح الكلام نوعاً من التأكيد على استحقاق الممدوح.

كما ورد هذا التقديم في قصيدته (لو كان يعلم أنها الأحداق) قال فيها: (الديوان، 1987، 113)

حيث الظباء لهن سوق في الهوى؛ فيها لألباب الرجال نفاق!

وفيه جاءت الجملة الاسمية (فيها... نفاق) بتقديم الخبر الجار والمجرور، المشتمل على ضمير الغائب، وتأخير المبتدأ (نفاق)، وفي هذا التقديم تنبيه للسامع على أن الجار والمجرور (فيها) خبر لا نعت، من أول سماعه وتلقيه للبيت الشعري، إذ لو تأخر الخبر فقل: نفاق فيها؛ لتوهم السامع النعت لا الخبر، ويعد هذا التقديم مناسباً في سياق المدح؛ لما يقدمه التقديم من دلالة على التخصيص المراد من تقديم الخبر المشتمل على حرف الجر (في) الدالة على الظرفية المكانية، و(ها) ضمير الغيبة التي تدل على معنى الشأن أو الأمر أو القصة، والخبر هنا بحرف الجر والضمير يدل على المكانة التي تحتلها الظباء في سوق الهوى، وما لها من تأثير على عقول الرجال وسلب ألبابهم، حيث إن الظباء نافقة وتجارة رائجة.

الشكل الثاني: تقديم الخبر (الظرف) وتأخير المبتدأ (النكرة المحضة).

تقدم الخبر (الظرف) وتأخر المبتدأ (النكرة المحضة) عند شاعرنا في عدة مواضع، كانت أغلبها لتقديم ظرف المكان، يمكن تناول ذلك في الصورتين الآتيتين:

الصورة الأولى: تقديم الخبر (ظرف الزمان).

من ذلك ما جاء في قصيدة له تحدث فيها عن غيداء بعنوان (أما هذه حزوى؟) فقال عنها: (الديوان، 1987، 260)

وتوعدني بالوصل سرا؛ وكم لها وعود مطال بعدهن وعود

وفيه جاءت الجملة الاسمية (بعدهن وعود)، بتقديم الخبر الظرف (بعد)، الدال على الزمان، وتأخير المبتدأ النكرة المحضة (وعود) وجوبا؛ لكي يُحكم على الظرف بادئ ذي بدء بأنه خبر لا نعت، إذ لو تأخر فقول: وعود بعدهن، لحُمِل على الصفة، وتقديم الظرف الزماني في قوله: (بعدهن وعود) قد أسهم في ترجمة إichاء أراحه الشاعر يتمثل في إشعار المخاطب ولفت نظره وانتباهه إلى ما يحدث من الغانيات من كثرة وتعداد للوعد الذي يضربنه للوصل، وغاية الشاعر من ذلك هو تحذير مخاطبه من ذلك، وفي وصفه لهذه الوعود بأنها (مطال) أي: كثير المطل والتأخر على وزن (فعال)، وهي صيغة مبالغة، وفي البيت اللاحق حين قال:

فإياك من وعد الغواني بوصلها فهن اللواتي وعدهن وعيد

ما يدل ويؤكد تحذيره المخاطب.

الصورة الثانية: تقديم الخبر (ظرف المكان).

تقدم الخبر (ظرف المكان) بنسبة أكثر من تقديم الخبر ظرف الزمان، من ذلك قوله مخاطبا ممدوحه سيف الإسلام أحمد بن الحسن بعد أن ناداه: (الديوان، 1987، 215)

صفي الهدى كن حيث شئت من العلى فما الجود إلا اسم وأنت مسماه

رويدك ما فوق الكواكب رفعة؛ فأني محل فوقها تتوخاه

وفيه وردت الجملة الاسمية المنفية (ما فوق الكواكب رفعة) بتقديم الخبر ظرف المكان (فوق الكواكب)، وتأخير المبتدأ النكرة المحضة (رفعة)، وقد جاءت هذه الجملة بعد أن نادى ممدوحه ووصفه بأنه صفي الدين، وطلب منه أن يكون في أي مكان عال شاء، ثم طلب منه التمهّل، وأتى بجملة الاسمية المنفية، ثم تساءل أي مكان فوق الكواكب تطلبه، والمتأمل في هذا السياق يجد أن هذا التقديم والتأخير في الجملة الاسمية (ما فوق الكواكب رفعة) جاء مناسبا للسياق؛ إذ حقق دلالات وهمس بإيحاءات كان لها أثر كبير في كشف مبالغة الشاعر في مدح ووصف المكانة العالية لممدوحه وجوده وكرمه، كما أسهم في إبراز منزلة الممدوح وتمثل صورته في ذهن المتلقي؛ لترسم الصورة في ذهن المتلقي واضحة لا تناقض فيها؛

إنها المكانة والمنزلة التي بلغت المدى والحد الأقصى؛ فما فوق الكواكب رفعة، ولو كانت هنا منزلة ومكان لكننت أنت أولى به.

كما ورد تقديم الخبر (ظرف المكان) وتأخير المبتدأ (المحضة) في قصيدته (كأن في كل لحظ بيت خمار)، قال فيها: (الديوان، 1987، 235)

سلوا اللواظ: هل عند القلوب لها ثأر فهن يردن الأخذ بالثأر

جاءت الجملة الاسمية (عند القلوب لها ثأر) بتقديم الخبر ظرف المكان (عند) وتأخير المبتدأ النكرة المحضة (ثأر)، التي وردت في سياق استفهام أراد الشاعر توجيهه إلى اللواظ، وفي هذا التقديم للظرف المكاني (عند) المضاف للاسم (القلوب) تناسب مع موضوع اللواظ، إذ طلب سؤال اللواظ هل عند القلوب ثأر؟ ويردن أخذ هذا الثأر، وهل اطلعن على الغيب وعرفن ما في القلوب؟ ففي تقديمه ما يدل على الاستغراب والتعجب من نظرة اللواظ.

النمط الثالث: تقديم الخبر (المحصور) وتأخير المبتدأ (المحصور فيه).

نص النحاة (الأنصاري، 1996) على وجوب تقديم الخبر وتأخير المبتدأ إذا كان المبتدأ مقترنا بـ (إلا)، لفظاً، نحو قوله تعالى: {مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} [المائدة: 99]، أو معنى، نحو قوله: {فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن: 12]، فشبه الجملة (على الرسول/على رسولنا) خبر مقدم وجوبا، و(البلاغ) مبتدأ مؤخر وجوبا، وعلة الوجوب هي قصد الحصر، أي: حصر المبتدأ في الخبر، ولا يستفاد ذلك إلا بالتقديم والتأخير؛ إذ لو تقدم المبتدأ وتأخر الخبر لانعكس الحصر، وأدى ذلك إلى اختلاف تام في المعنى، ومعلوم أن الجملة تكون صحيحة نحويا -في غير القرآن- ولكن المعنى المقصود لا يكون صحيحا، وذلك للخلط بين المحصور والمحصور فيه.

وقد وردت الجملة الاسمية بتقديم الخبر المحصور وتأخير المبتدأ في ديوان شاعرنا، يمكن تناول ذلك في الشكليين الآتيين:

الشكل الأول: تقديم الخبر المحصور بـ(إنما) وتأخير الخبر.

من ذلك ما ورد في قصيدته (مجلس) قال فيها: (الديوان، 1987، 419)

إنما عندي ما شئت من الكتب الحسان

وفيه وردت الجملة الاسمية (إنما عندي ما شئت) بتقديم الخبر (عندي)، المحصور بـ(إنما)، وتأخير المبتدأ الاسم الموصول (ما)، حيث حصر وخص الذي يريده المخاطب من الكتب بأنها عنده، ودلالة التقديم هي الحصر وإثبات بأن الكتب الحسان عنده ونفيها عما عداه.

الشكل الثاني: تقديم الخبر المحصور بـ (ما....إلا) وتأخير المبتدأ.

مما ورد من تقديم للخبر وتأخير للمبتدأ في أقوال شاعرنا لاقتران المبتدأ بـ(إلا)، وتحقيق دلالة الحصر قوله: (الديوان، 1987، 539)

وكم نوب جليت بالصبر دهمها وما المجد إلا الصبر للنوب الدهم

حيث وردت الجملة الاسمية (وما المجد إلا الصبر) بتقديم الخبر المحصور بـ (النفي) (المجد) على المبتدأ المؤخر (الصبر)، فقد حصر وخص المجد بالصبر على النائبات، ودلالة التقديم هي الحصر والتخصيص، وإثبات أن المجد محصور في الصبر ونفيه عما عداه.

المبحث الثاني

تقديم الخبر وتأخير المبتدأ جوازا

أشار البحث سابقا إلى جواز تقديم الخبر وتأخير المبتدأ لدى نحاة البصرة، وقد ورد تقديم الخبر على المبتدأ في ديوان شاعرنا في مواضع كثيرة، تنوعت فيها أنماط تقديمه، يمكن أن نتناولها وفق الأنماط الآتية:

النمط الأول: تقديم الخبر (المفرد) وتأخير المبتدأ.

يتفق النحاة على جواز تقديم الخبر (المفرد)، فيقال: قائم زيد، ومن أمثلتهم: تميمي أنا، ومشنوء من يشنؤك، ورجل عبدالله، وخز صفتك" (سيبويه، 1988، 1:127)، فالنكرة المتقدمة (قائم/ تميمي/ مشنوء/ رجل/ خز) خبر مقدم، والمعرفة المتأخرة (زيد/ أنا/ من يشنؤك/ عبدالله/ صفتك) مبتدأ متأخر.

وقد ورد تقديم الخبر (المفرد) وتأخير المبتدأ في مواضع قليلة، يمكن تناولها في الأشكال الآتية:

الشكل الأول: تقديم الخبر (النكرة) وتأخير المبتدأ (المعرفة).

من ذلك ما ورد في مقطوعة له بعنوان (أشمت أعدائي)، إذ قال فيها متغزلا: (الديوان، 1987، 329)

ويا غريب الحسن رفقا بمن غربه هذا الجمال الغريب

أشمت أعدائي بطول الجفاء قل لي: عدو أنت لي أم حبيب؟

وفيه أورد جملته الاسمية (عدو أنت لي أم حبيب) بتقديم الخبر المفرد النكرة (عدو) وتأخير المبتدأ المعرفة ضمير المخاطب (أنت)، ويرجح البحث هذا الإعراب، وإن كانت النكرة (عدو) معتمدة على استفهام مقدر يجوز الابتداء بها، إلا أن مجيء العنصر الآخر ضميرا وهو أعرف المعارف يحتم عليه الحكم بجعله هو المبتدأ، وقد جاء تقديم الخبر مناسبا لهذا السياق، فلما رأى الشاعر أن محبوبه يريد أن يجعل الأعداء يشمتون منه بسبب طول الجفا والقطيعة والبين بينهما، بادره بالخبر أولا فقال: (عدو أنت؟)؛ لأن مثل هذا التصرف لا يقوم به إلا عدو لا حبيب، ولذا كان تقديم الخبر هنا مناسبا لما يحققه من دلالة التخصيص، والعرب عندما تقدم الشيء دلالة على الاهتمام به، وتشويقا لمعرفة المبتدأ المتأخر. وفي قصيدة له بعنوان (ولكني بليت) تقدم الخبر المفرد النكرة، وتأخر المبتدأ المعرفة (اسم الإشارة) في قوله: (الديوان، 1987، 252)

حياض تلك قل لي أم رياض أجادت صقلها أيدي الرياح

وفيه وردت الجملة الاسمية (حياض تلك) بتقديم الخبر المفرد النكرة، وتأخير المبتدأ اسم الإشارة، وجاء هذا البيت ضمن قصيدة رد الشاعر بها على بيتين كتبها إليه صفي الدين أحمد بن محمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله، وكان تقديم الخبر هنا مناسباً؛ لما يحققه من دلالة التخصيص، والعرب عندما تقدم الشيء دلالة على الاهتمام به، وتشويقاً لمعرفة المبتدأ المتأخر. وفي قصيدة مدح له بعنوان (ولاية العدين)، يمدح فيها السيد ضياء الدين إسماعيل بن محمد الحسن، ويهنئه بولاية العدين جاء قوله: (الديوان، 1987، 243)

فليشكروا الله إذ ولاك أرضهم فإنها منة من أعظم المنن

وحق أن يشكروا رباً أتاح لهم من كفك العذب بعد المورد الأسن

وردت الجملة اسمية (وحق أن يشكروا) تقدم فيها الخبر النكرة (حق) وتأخر المبتدأ المعرفة المصدر المؤول (أن يشكروا)، وتقدير الكلام: وحق شكرهم رباً، بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ، وكان تقديم الخبر هنا مناسباً؛ لما يحققه من دلالة تأكيدية على وجوب وأحقية شكر الله. وفي قوله أيضاً في قصيدة له بعنوان (على ضريح طفلة): (الديوان، 1987، 517)

فالحمد لله كل آونة حق له الحمد دائم الأبد

وردت الجملة الاسمية (حق له الحمد)، تقدم الخبر النكرة (حق) وتأخر المبتدأ المعرف بـ(أل) (الحمد)، وأسهم التقديم في منح القول نغمة موحية بالوجوب وبالاعتراف بالاستسلام لأمر الله وقضائه في كل وقت؛ ولذلك ذكر (كل آونة/ دائم الأبد)، ولاستحقاق الحمد لله ذكر في البداية الحمد لله، وكأن مشاعر الفقد للطفلة تواردت فقال: حق له الحمد.

الشكل الثاني: تقديم الخبر (النكرة) وتأخير المبتدأ (النكرة المختصة).

من ذلك قوله في قصيدة (أتعزى أم تهنى): (الديوان، 1987، 516)

وسواء في النهى - والموت طوق في الرقاب -

ميت يدرج في الكفن وحي في الثياب

وفيه تقدم الخبر النكرة (سواء) وتأخر المبتدأ النكرة (ميت)، وهي نكرة مخصصة بالوصف، فجملة (يدرج في الكفن) في محل رفع صفة لميت، وقد أسهم التقديم في شد انتباه المتلقي، وجعله في حالة انتظار وتشوق لسماع ومجيء ومعرفة الاسم المتأخر المتحدث عنه، ولعل الإطالة الحادثة الموجودة بين الخبر المتقدم في بداية البيت الأول (سواء) وبين المبتدأ المتأخر الوارد في بداية البيت الثاني (ميت)، بما حدث بينهما من ورود جملة اعتراضية (والموت طوق في الرقاب)، قد أسهمت في زيادة الانتظار والتشوق عند المتلقي، فكان تقديم الخبر هنا مناسباً؛ لما يحققه من دلالة التسوية بين الشئيين.

الشكل الثالث: تقديم الخبر (المعرفة) وتأخير المبتدأ (المعرفة).

يذكر النحاة أن أصل الكلام أن يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة، أما إذا اجتمع في التركيب معرفتان، ففي تعيين المبتدأ والخبر منهما آراء وأقوال متعددة (السيوطي، 1998، 325/1)، وقد قام الباحثان بالاطلاع عليها، ورجح الرأي القائل بأن المتقدم هو المبتدأ، والمتأخر هو الخبر، وهو رأي الزمخشري، جاء في مفصله: "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا، كقولك: زيد المنطلق، والله إلها، ومحمد نبينا... ولا يجوز تقديم الخبر هنا، بل أيها قدمت فهو المبتدأ" (الزمخشري، د.ت، 26)، وهذا الرأي هو ما ارتضاه الباحثان وسارا عليه، حيث عد المتقدم مبتدأ، والمتأخر خبرا، حين يجتمع في تركيب الجملة الاسمية معرفتان، ما لم توجد في الكلام قرينة تقضي بخبرية المتقدم وابتدائية المؤخر، ولعل الأخذ بهذا الرأي يفضي بنا إلى السهولة والتيسير والقرب من المعنى والابتعاد عن التعقيدات الدلالية، التي يفترض المتكلم فيها في المخاطب أمرا يخالف مقتضى الحال فيوهم في التركيب، والأخذ بهذا الرأي يفيد في تلمس الدلالات التي وراء هذا التقديم.

ومما ورد من هذا القبيل في ديوان شاعرنا قوله من قصيدة له بعنوان (نفسى فداء الغري)، يمدح فيها الإمام علي -كرم الله وجهه-: (الديوان، 1987، 123)

وسابق العالمين أنت إلى كل محل في الفضل لم يرم

ونفس خير الأنام أنت؛ فمن مثلك في العالمين كلهم

ففي هذين البيتين المتتابعين في القصيدة أورد الشاعر جملتيه الاسميتين في مستقتهما:

- سابق العالمين أنت.

- نفس خير الأنام أنت.

وكل جملة منهما متكونة من اسمين معرفين، المتقدم منهما معرف بالإضافة، والمتأخر ضمير المخاطب (أنت)، الموجه إلى ممدوحه الإمام علي -كرم الله وجهه- ومما لا شك فيه أن الاسم المتقدم خبر، والمتأخر مبتدأ؛ ذلك أن الشاعر يريد أن يتحدث ويخبر عن الإمام علي بأنه سابق العالمين، وأنه نفس خير الأنام، فقرينة التشبيه تقضي بأن ضمير المخاطب (أنت)، الموجه إلى الإمام علي -كرم الله وجهه- هو المشبه، تقدم أو تأخر، وقد أسهم هذا التقديم في إظهار الشاعر تعظيمه وتوقيره لممدوحه؛ لما في التقديم من دلالة على الاختصاص.

النمط الثاني: تقديم الخبر (شبه الجملة) وتأخير المبتدأ (المعرفة).

لا خلاف عند النحاة القائلين بجواز تقديم الخبر على المبتدأ في جواز تقديم الخبر (شبه الجملة) وتأخيره، إذا كان المبتدأ معرفة (الصبان، د.ت)، فلو قلت: فيها عبدالله، حسن السكوت، وكان كلاما مستقيما،

كما حَسُن واستغنى في قولك: هذا عبدالله، وتقول: عبدالله فيها فيصير كقولك: عبدالله أخوك إلا أن عبدالله يرتفع مقدما كان أو مؤخرا بالابتداء" (سيبويه، 1988، 2:88).

وقد تقدم الخبر (شبه الجملة) وتأخر المبتدأ (المعرفة) في مواضع كثيرة عند شاعرنا، يمكن تناول ذلك في الشكليات الآتية:

الشكل الأول: تقديم الخبر (الجار والمجرور) وتأخير المبتدأ (المعرفة).

تقدم الخبر (الجار والمجرور) وتأخر المبتدأ (المعرفة) في مواضع كثيرة من ديوان شاعرنا، من ذلك قوله في مستفتح قصيدته (بعدا للمنجمين): (الديوان، 1987، 101)

لخالقنا -سبحانه- الحل والعقد فلا زحل نحس ولا المشتري سعد

وفيه استفتح الشاعر بجملة اسمية تقدم فيها الخبر الجار والمجرور (لخالقنا)، وتأخر المبتدأ المعروف بـ(أل) (الحل والعقد)، وتبدو دلالة تخصيص الاسم المجرور باللام بالحل والعقد واضحة من تقديم الخبر، فالشاعر يخص الله عز وجل الذي عبر عنه بلفظ الخالق وأضافه إلى الضمير (نا) الدال على المتكلمين، بأنه وحده لا غيره من بيده الحل والعقد، هو وحده دون سواه من بيده البت في أمور الكون، هو وحده دون سواه من بيده تصريف أحوال العباد وحوادث الكون، وليس للمنجمين شيء في ذلك، ولتحقيق هذه الدلالة عمد الشاعر إلى تقديم الخبر المشتمل على حرف الجر (اللام) الدال على الاستحقاق فقال: (لخالقنا...). والمتأمل في هذه القصيدة يجد أن سياقها يقتضي تأكيد الكلام وتقويته؛ لإزالة ودحض ما قد يرتاب المتلقي من شكوك وظنون في الاعتقاد بتأثير النجوم في أحوال الكون كما يزعم المنجمون؛ فجاء تعبيره بتقديم الخبر؛ لما في تقديمه من دلالة قوية تسهم في إزالة ودحض كل تلك الظنون، وتمنح التركيب قوة وتأكيدا على تخصيص الله عز وجل بذلك.

وكون هذه القصيدة قد تحدث فيها عن المعتقدين بتأثير النجوم في أحوال الكون، فقد أسهم هذا التقديم الوارد في مستفتح القصيدة في الإيحاء برغبة الشاعر وحرصه على نفي اعتقاد المنجمين والتأكيد على هذه الحقيقة، التي تتضمنها الجملة الاسمية الواردة بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ (لخالقنا... الحل والعقد) منذ البداية، ولفت انتباه المتلقي إليها، ومثل هذا السياق يقتضي التأكيد في العبارة والتحديد في الدلالة؛ كونه يقرر أمرا عقائديا.

وتبدو دلالة الاختصاص واضحة أيضا من تقديمه للخبر (الجار والمجرور) وتأخيره للمبتدأ (المعرفة) في استفتاحه قصيدة أخرى بعنوان (فضائل أمير المؤمنين) بقوله: (الديوان، 1987، 127)

لحيدرة الفضل دون الورى على أقرب الناس والأبعد

وفيه يبدو حرص الشاعر وعمده إلى التأكيد على دلالة الاختصاص؛ فهو يخص الاسم المتقدم المجرور باللام (لحيدرة) بالفضل، وتتأكد هذه الدلالة بما أورده بعد الجملة الاسمية من تفصيل وإيضاح لدلالة الاختصاص؛ ففي قوله: (دون الورى) تأكيد لاختصاصه بالفضل دون سواه.

ويستشعر الباحثان من تقديم الخبر في النموذجين السابقين، إضافة إلى الدلالة الرئيسية، وهي الاختصاص، إتباعها أو امتزاجها بدلالات أخرى؛ فالتعظيم والتوقير والتلذذ والتبرك باسمه -عز وجل- نجده في تقديم الخبر المشتمل على لفظ الجلالة (لخالقنا)، والمدح والثناء والتوقير لأمير المؤمنين نجده في تقديم الخبر المشتمل على اسمه (حيدرة).

وقد كثر عند الشاعر في سياق المدح تقديمه للخبر (الجار والمجرور)، المشتمل على ضمير ممدوحه، من ذلك ما ورد في قصيدة له بعنوان (وافيت في يوم سعد)، قالها تهنئة للسيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن المنصور بالله، التي تواترت وتتابع في ست أبيات شعرية، يقول فيها: (الديوان، 1987، 239)

لك السيوف اللواتي لا يفارقها	أنى قصدت بها نصر وتمكين
لك الرماح اللواتي لا يزال لها	مذ شرعت من عادة الدين مطعون
لك العلوم اللواتي لا تمد بها	إلا وغاض حياء منك سيحون
لك العلوم اللواتي كاد ثاقبها	يرى الذي في ضمير الكون مخزون
لك العطايا اللواتي قد دعاك بها	حقا أباهما اليتامى والمساكين
لك الخصال اللواتي بان مذ ظهرت	بها على فضلك الجم البراهين

ففي هذه الأبيات يستفتح الشاعر كل بيت منها بجملة اسمية، تقدم فيها الخبر الجار والمجرور (لك)، المشتمل على حرف الجر (اللام)، الدال على الاختصاص، ومجروره ضمير مخاطبه (الكاف)، العائد على السيد ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن، وتأخر فيها المبتدأ المعروف بـ(أل)، (السيوف/ الرماح/ العلوم/ العلوم/ العطايا/ الخصال)، وهي جمل اسمية يخصص فيها مجرور اللام بالمبتدأ، ويؤكد على استحقاقه للمبتدأ المتأخر، ومثل هذا السياق يقتضي التخصيص؛ لما فيه من مدح وثناء للممدوح. وفي قصيدة أخرى بعنوان (حتام عن جهل تلوم) تتابع أيضاً جمل اسمية بتقديم الخبر (الجار والمجرور) وتأخير المبتدأ (المعرفة)، يمدح فيها الإمام علي -كرم الله وجهه-، ومما جاء فيها قوله: (الديوان، 1987، 125)

فيك الوصي أخو النبي	المختار والنبأ العظيم
فيك النجاة من الردى	فيك الصراط المستقيم
فيك الموازر، والمواخي	والمواسي، والحميم
فيك الشجاعة والندى	والعلم، والدين القويم

فيك المكارم والعللا	والمجد، والشرف الصميم
فيك الإمامة، والزعامة	والكرامة، لا تريم
فيك الذي يشفى بترب	نعاله الطرف السقيم
فيك الذي لو أنصفت	لهوت لمصرعه النجوم
فيك الذي كانت تحاذر	بأسه الصيد القروم
فيك الذي كانت تخف	لهول موقفه الحلوم
فيك الخصيم عن المهين	يوم تجتمع الخصوم

ففي هذه الأبيات يستفتح الشاعر كل بيت منها بجملة اسمية، تقدم فيها الخبر الجار والمجرور (فيك)، المشتمل على حرف الجر (في)، الدال على الظرفية، ومجروره ضمير مخاطبه (الكاف)، العائد على أمير المؤمنين الإمام علي- كرم الله وجهه- وتأخر فيها المبتدأ المعرف بـ(أل)، وهي جمل اسمية يخصص فيها مجرور (في) بالمبتدأ، ويؤكد على وجوده في المبتدأ المتأخر، ومثل هذا السياق يقتضي التخصيص لما فيه من مدح وثناء.

الشكل الثاني: تقديم الخبر (الظرف) وتأخير المبتدأ (المعرفة).

من ذلك قوله: (الديوان، 1987، 85)

حلا له ما مر من عيشها ودونه لو عقل الحنظل

وفيه تقدم الخبر الظرف (دونه)، وتأخر المبتدأ المعرف بـ(أل) (الحنظل)، وتبدو دلالة تخصيص هاء الغائب بالحنظل واضحة من تقديم الخبر.

وكذلك تبدو دلالة التخصيص واضحة من تقديم الخبر في قوله: (الديوان، 1987، 305)

ووردنا من بحر حبك وردا صافيا دونه الكماة تغاني

وفي قوله أيضا من قصيدة له بعنوان (غريب وحولي أسرتي): (الديوان، 1987، 539) وها أناذا بين البرية مفرد غريب وحولي أسرتي وبنو عمي

تقدم الخبر الظرف (حولي) المضاف إلى ياء المتكلم، وتأخر المبتدأ (أسرتي)؛ لبيان شأن الأسرة وأهميتها في حياة الشاعر.

النمط الثالث: تقديم الخبر (شبه الجملة) وتأخير المبتدأ (النكرة المختصة).

يتفق النحاة على وجوب تقديم الخبر (شبه الجملة) إذا كان المبتدأ نكرة محضة لا مسوغ للابتداء بها إلا تقدم الخبر، أما إذا كان المبتدأ نكرة مختصة بأن وجد لها مسوغ للابتداء بها غير تقديم الخبر، فإن ذلك الحكم ينتقض من الوجوب إلى الجواز (حسن، د.ت)، فيقال: رجل كريم في الدار/عندك، كما يقال: في الدار/عندك رجل كريم، "فالتعبيران جائزان مقبولان" (أنيس، 1972، 320)، ولا يعني هذا أن التقديم يساوي التأخير، فإذا كان تأخير الخبر هو الأصل فإن تقديمه يكون لأغراض بلاغية (فهمي، 2007، 37)، وهو ما يهم البحث، حيث سيتناول في هذا النمط أقوال شاعرنا التي وردت بتقديم الخبر (شبه الجملة) وتأخير المبتدأ (النكرة المختصة)، متلمسا ما حققه التقديم والتأخير من أغراض ودلالات وتناسب مع السياق، ويمكن تناول ذلك في الشكلين الآتيين:

الشكل الأول: تقديم الخبر (الجار والمجرور) وتأخير المبتدأ (النكرة المختصة).

من ذلك تقديم الشاعر للخبر (الجار والمجرور) المشتمل على ضمير المتكلم العائد على ذات الشاعر، وقد ورد في عدة مواضع، منها ما ورد في قصيدته (هل يغتر بالدنيا لبيب) وفيها يقول: (الديوان، 1987، 84)

ومن لي بالدموع؛ ولي فؤاد تلين - ولم يلن قط - الصخور؟

ولي فيه تعالى حسن ظن وذنبني عند رحمته يسير

ففي هذين البيتين ترد جملته الاسميّتان (لي فؤاد تلين) و(لي... حسن ظن) بتقديم الخبر الجار والمجرور (لي)، وتأخير المبتدأ النكرة المختصة (فؤاد)، المخصصة بالوصف (تلين) أي لين، والمبتدأ النكرة (حسن ظن)، المخصصة بالإضافة، ودلالة تقديم الخبر الاختصاص، إذ تعد من أشهر دلالات تقديم الخبر وأكثرها شيوعاً (السامرائي، 1987، 140/1)، وتظهر هذه الدلالة في الجمل الاسمية السابقة؛ فالشاعر أراد أن يظهر ذاته ويخص نفسه بأن له فؤاد لين، وأن له فيه تعالى حسن ظن، وجاء هذا التقديم مناسباً لسياق الابتهاال والدعاء والتضرع لله، وفي هذا التقديم دلالة على اختصاصه بهذا الأمر، وفيه استرحام واستعطاف لله تعالى، فحاله وصفته ليست مثل حالة وصفة غيره.

وجاء في قصيدته (أقسمت لولا أيادي)، الذي يقول فيها: (الديوان، 1987، 208)

له سيوف حداد أكلها أبداً وشربها مهج مفرية، ودم

الجملة الاسمية (له سيوف حداد) تقدم الخبر شبه الجملة من الجار والمجرور (له)، وتأخر المبتدأ (سيوف حداد)، النكرة المختصة بوصف، ودلالة التقديم الاختصاص؛ إذ خص ممدوحه بأن له سيوفاً حدادا، دون غيره، وكذا يبين اهتمامه وعنايته بالممدوح، وفيه تعظيم وتشريف للممدوح.

كما ورد في قصيدته (في ركاب البحري وأبي تمام) قوله: (الديوان، 1987، 207)

وعلى النبي وآله من ربنا أسنى صلاة لا تزال تكرر

وفيه جاءت الجملة الاسمية (على النبي...أسنى صلاة)، تقدم الخبر شبه الجملة من الجار والمجرور (على النبي)، وتأخر المبتدأ (أسنى صلاة)، النكرة المختصة بالإضافة، ودلالة التقديم الاختصاص؛ إذ خص ممدوحه بأفضل صلاة، وكذا يبين اهتمامه وعنايته بالممدوح، وفيه تعظيم وتفضيل للممدوح.

وفي مقطوعة له بعنوان (حق الشعراء)، استفتحها بقوله: (الديوان، 1987، 224)

مولاي للشعراء حق لازم لا ينبغي في شأنه الإغضاء

جاءت الجملة الاسمية (لشعراء حق لازم)، تقدم فيها الخبر الجار والمجرور (لشعراء) وتأخر المبتدأ (حق)، النكرة المخصصة بالوصف، ويلحظ الباحثان في هذا التقديم اهتمام الشاعر بالخبر؛ لأنه محور الكلام ومحط العناية، فقدمه في اللفظ، ودلالة التقديم الاهتمام والعناية بالمقدم.

وفي قوله: (الديوان، 1987، 122)

ففيك كشاف كل نازلة عن البرايا، وفارج الغمم

جاءت الجملة الاسمية (فيك كشاف كل نازلة)، بتقديم الخبر شبه الجملة (فيك)، وتأخير المبتدأ المؤخر (كشاف كل نازلة)، النكرة المختصة بالإضافة، وقد أسهم تقديم الخبر الجار والمجرور (فيك)، بما اشتمل عليه من حرف جر (في)، الدال على الظرفية المكانية في إبراز المكان وتحديده والتأكيد عليه، لترسم في ذهن المتلقي صورة واضحة المعالم لما في هذا المكان (طيبة)، ويقصد بها المدينة المنورة، ويلحظ الباحثان في هذا التقديم اهتمام الشاعر بالخبر؛ لأنه محور الكلام ومحط العناية، فقدمه في اللفظ، ودلالة التقديم الاهتمام والعناية بالمقدم.

وفي قوله: (الديوان، 1987، 117)

لكل محب كأس هجر، وفرقة فإن تصدق الدعوى فإنك شارب

تقدم الخبر الجار والمجرور المشتمل على لفظ العموم (كل)، وتأخر المبتدأ النكرة (كأس هجر)، المخصصة بالإضافة، وفي هذا التقديم دلالة، تعكس اهتمام الشاعر وحرصه على تأكيد دلالة العموم والشمول.

وإضافة إلى تحقيق دلالة العموم والشمول المتأتية من اهتمام الشاعر بتقديم الخبر المشتمل على لفظ العموم (كل)، المسبوق بحرف الجر (اللام)، الدال على الاستحقاق فإن الباحثين يستشعران إسهام التقديم في توجيه نغمات تحذيرية من الشاعر لمتلقيه، لكل محب، فله لا بد من كأس يشرب منها معاناة الهجران.

الشكل الثاني: تقديم الخبر (الظرف) وتأخير المبتدأ (النكرة المختصة).

من ذلك قوله: (الديوان، 1987، 112)

وعندي لمن عاداكم نصل مقول إذا ما انبرى يوما يحاذره النصل

وفيه وردت الجملة الاسمية (عندي نصل مقول) بتقديم الخبر ظرف مكان (عندي)، وتأخير المبتدأ المختص بالإضافة (نصل مقول)، وقد جاءت هذه الجملة بعد أن طلب من (بني المختار) الصبر، ثم أتى بالجملة الاسمية التي تقدم فيها الخبر ليؤكد أهميته، ويقصد بـ(نصل مقول) حديدة الرمح والسهم والسكين، ونصل مقول أي: الشعر، الذي يستخدمه ضد من عادى (آل أحمد)، ويبين مكانة شعره إذا ظهر وأنشده فإن (النصل)؛ أي: الحد الحامي للسيف أو السهم أو الرمح يحذر ويخاف شعره، ولقد أسهم تقديم ظرف المكان في إبراز منزلة الشعر، وتمثل صورته في ذهن المتلقي؛ لترسم الصورة في ذهن المتلقي واضحة لا تتأقظ فيها؛ وخاصة ما يملكه الشاعر من ملكة شعرية مذهلة.

وفي قوله من قصيدته (قم بنا نطلب الحق.): (الديوان، 1987، 231)

كل ماضي القلب فرد حوله في الوغى من بأسه جيش لهام

وردت الجملة الاسمية (حوله جيش لهام)، بتقديم الخبر ظرف مكان (حوله)، وتأخير المبتدأ المختص بوصف (جيش لهام)، ولقد أسهم تقديم ظرف المكان في إبراز منزلة الممدوح وتعظيمه، وتأکید مكانته الرفيعة عند قبائل (خولان)، وتخصيصه بأن حوله جيش عظيم.

وفي قوله من قصيدته (أما هذه حزوى): (الديوان، 1987، 260)

يمثلهم شوقي لعيني، وبيننا جبال عوال، أو مهامه بيد

وردت الجملة الاسمية (بيننا جبال عوال)، بتقديم الخبر ظرف مكان (بيننا)، وتأخير المبتدأ المختص بوصف (جبال عوال)، ولقد أسهم تقديم ظرف المكان في إبراز مدى شوقه لعيني محبوبته، وتخصيص الظرف بإضافته إلى (نا) المتكلمين، ولتعظيمه وتقريبه من المتكلم، وليوضح المسافة البعيدة بينهما، فهي جبال عالية تحجب رؤيته.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة النحوية والدلالية، المصحوبة بالبحث والاطلاع والاستيعاب والتصنيف والتحليل لأنماط تقديم الخبر على المبتدأ في ديوان الهبل، يصل البحث إلى المحطة الأخيرة؛ ليزكر أهم ما توصل إليه من نتائج على مستوى الدراسة النحوية، وأهم ما أفرزه من نتائج على مستوى الدراسة الدلالية، يمكننا إجمال أهم النتائج فيما يأتي:

1/ أظهر البحث شخصية الهبل وقوة لغته وفصاحته، على الرغم من أنه عاش بعيداً عن موطن الفصاحة وزمن الاستشهاد، إلا أنَّ شعره جاء مطابقاً لقواعد النحو، وخالياً من ظاهرة الشذوذ.

2/ أثبت البحث أن الشاعر استطاع أن يوظف ظاهرة (التقديم والتأخير) في قصائده؛ بما يخدم مراده في تحقيق الدلالات والإيحاءات المرادة، فلم يكن توظيفه للظاهرة عشوائياً، وإنما كان يعمد إليه؛ ليحقق بذلك أغراضاً لفظية، وأخرى معنوية، ويوحى من خلاله تقديمه بإيحاءات شتى، ما كانت لتتحقق لو التزم بناء آخر.

3/ أثبت البحث أنه لا يمكن حصر الدلالات؛ إذ تتعدد وتتجدد بتعدد السياقات واختلاف المقامات، وأظهر البحث أن للنظر والتأمل في السياق أثراً مهماً ودوراً كبيراً في الكشف عن دلالات التقديم والتأخير؛ فالسياق هو المتحكم في اللجوء إلى مخالفة الأصل بالتقديم.

4/ أيد البحث جواز تقديم الخبر وتأخير المبتدأ في الجملة الاسمية، عند أمن اللبس في المعنى، كما أيد المذهب النحوي الذي يمنع تقديم الخبر (الجملة)، ويرى وجوب التأخير مطلقاً، سواء كان الخبر جملة اسمية أم فعلية؛ رافعة لضمير الاسم، أم رافعة لغيره.

5/ أثبت البحث أن لتقديم الخبر أثراً في إبراز المعنى المراد والتأكيد عليه ولفت انتباه المتلقي إليه، ومن أهم تلك المعاني التي عمد إليها شاعرنا الاختصاص، بالإضافة إلى الاهتمام والعناية بالمتقدم.

أهم التوصيات:

ينهي الباحثان هذه المحطة بذكرهما عدداً من التوصيات يوصيان بها الباحثين والدارسين في تخصص اللغة العربية:

- الاتجاه إلى دراسة الأدب اليمني، شعراً ونثراً؛ فأبناؤه أولى وأحق به.
- دراسة شعر الحسن بن علي الهبل من نواحٍ أخرى، نحوية وصرفية ولغوية؛ لما يحوي ديوانه من مادة لغوية تستحق الدراسة، فشعره لا يقل إبداعاً عن سائر شعراء عصره.
- محاولة ربط الدراسات النحوية التي تتخذ الجملة ميداناً لها بالدلالات المعنوية، التي يقصد إليها الشاعر أو الكاتب؛ لما في ذلك من فوائد عديدة، تمكن الباحث من كشف كثير من جماليات التعابير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن الحاجب، عثمان بن عمر. (د.ت). **الإيضاح في شرح المفصل**. مطبعة العاني.
2. ابن السراج، محمد بن سهل. (1996). **الأصول في النحو** (ط.3). مؤسسة الرسالة.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان. (1988). **اللمع في العربية**. دار مجدلاوي.
4. ابن عقيل، بهاء الدين بن عبدالله. (1980). **شرح ابن عقيل** (ط.20). دار التراث.
5. ابن مالك، محمد بن عبدالله. (1990). **شرح التسهيل**. مكتبة هجر.
6. ابن يعيش، موفق الدين بن علي. (د.ط). **شرح المفصل**. إدارة الطباعة المنيرية.
7. الاشبيلي، علي بن مؤمن بن عصفور. (1982). **شرح جمل الزجاجة**. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد.
8. الأنباري، أبو البركات كمال الدين بن محمد. (2002). **الإنصاف في مسائل الخلاف** (ط.2). مكتبة الخانجي.
9. الأندلسي، أبو حيان. (1998). **ارتشاف الضرب من لسان العرب**. مكتبة الخانجي.
10. الأنصاري، عبدالله جمال الدين بن هشام. (1986). **تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد**. دار الكتاب العربي.
11. الأنصاري، عبدالله جمال الدين بن هشام. (1995). **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**. المكتبة العصرية.
12. الأنصاري، عبدالله جمال الدين بن هشام. (1996). **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**. المكتبة العصرية.
13. أنيس، إبراهيم. (1972). **من أسرار اللغة** (ط.7). مكتبة الأنجلو المصرية.
14. الجرجاني، عبد القاهر. (1982). **المقصد في شرح الإيضاح**. منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.
15. حسن، عباس. (د.ت). **النحو الوافي** (ط.3). دار المعارف.
16. الذبياني، الشماخ بن ضرار. (د.ت). **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**. دار المعارف.

17. الرضي، محمد بن الحسن. (1996). *شرح الرضي على الكافية* (ط.2). منشورات جامعة قازيونس.
18. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1984). *حروف المعاني*. دار الأمل.
19. الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت). *المفصل في علوم العربية* (ط.2). دار الجيل.
20. السامرائي، فاضل صالح. (1987). *معاني النحو*. مكتبة أنوار دجلة.
21. سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). *الكتاب* (ط.3). مكتبة الخانجي.
22. السيوطي، جلال الدين. (1998). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. دار الكتب العلمية.
23. الصبان، محمد بن علي. (د.ت). *حاشية الصبان على شرح الأشموني*. المكتبة التوفيقية.
24. عامر، عرفة عبد المقصود. (2000). *الشعر الجاهلي والتقعيد النحوي*. دار الثقافة العربية.
25. العكبري، محب الدين عبدالله بن الحسين. (1995). *اللباب في علل البناء والإعراب*. دار الفكر.
26. فهمي، سوزان محمد. (2007). *شبه الجملة دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم*. دار غريب.
27. الهبل، الحسن بن علي. (1987). *ديوان الهبل* (ط.2). الدار اليمنية للنشر والتوزيع، توزيع: دار المناهل للنشر والتوزيع.